البَابُ الثَّانِي

أمُور تتَعلّقُ بالسَّاحِرَ

ويشتمل على اربعة فصول:

الفصل الأول: **كَيْف تَعْرِفُ السَّاحِرَ انَّهُ ساحرٌ.**

الفصل الثاني: **حُكْمُ السَّاحِر.**

الفصل الثالث: **حُكْمُ الذَّهَابِ إلى السَّاحِر.**

الفصل الرابع: **الفرق بين كرامة الأولياء والمعجزات النبوية والسحر.**

الفصل الأول

كيف تعرف الساحر أنه ساحر؟؟؟؟

أما الساحر فهو خبيث النفس خبيث المنظر، ولمن أعطاه الله فراسة المؤمنين سوف يتعرف على الساحر من أول نظرة في وجهه، فإن في وجهه ظلمة وسواد لا يراه إلا أهل الإيمان، والساحر على نوعين: أولهما- يتعامل بالسحر نهارًا جهارًا وهؤلاء من اليهود والنصارى، والثاني- يظهر أمام الناس بأنه معالج بالقرآن يقرأ آيات الله من القرآن أمام العوام ولكن يُبْطِنُ الكفر والسحر وهؤلاء أشر السحرة وأكثرهم ضررًا على الأمة الإسلامية هؤلاء المنافقون فيدخل هذا الساحر على أنه معالج بالقرآن ويوصي أهل البيت بالأذكار والقرآن ولكنه يدس السم في العسل من غير ما يعرف هؤلاء المساكين فيثبت السحر في جميع أركان البيت وهم لا يعرفون، وكم من بيوت خربت من هؤلاء المفسدين المنافقين، والساحر له بعض العلامات لا يستطيع أن يعمل إلا بها ومنها:

١- أن يسأل عن اسم المريض أو اسم أمه.

٢- يطلب أثر من المريض أو من بيته.

٣- أن يطلب حيوانًا لكي يذبحه.

٤- أن يعطي خاتمًا للمريض يرتديه في يده أو دبلة أو سلسلة يعلقها.

٥- أن يطلب من المريض أن ينظر إليه ويثبت النظر في عينيه.

٦- يطلب الدخول إلى دورة المياه بطريقة دائمة وملحوظة.

٧- يعطي المريض أحجبة يرتديها أو يدفنها أو يضعها تحت وسادته.

٨- يعطي المريض أوراق يتبخر بها أو يضعها في ماء ويطلب منه أن يتركها ليلة كاملة للنجوم ثم يشرب منها أو يغتسل أو يرشها في بيته أو على ملابسه.

ذهبت إلى بعض أسر لكي أرقي زوجة أخ وكانت مربوطة عن زوجها وقال لي: إني ذهبت إلى المعالج الفلاني وإلى المعالج الفلاني وأخذ يعدد لي المعالجين ثم قال لي: لم يفعلوا لي شيء قلت له: لا هم ولا أنا نستطيع أن نفعل لك شيئًا إنما الشافي هو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ولكن ما تأخر شفاؤك إلا بسبب، ثم قلت له: هل معك حجاب أو ورقة؟ قال لي: معي ورقة أعطاها لي الشيخ فلان وذكر اسمه قلت له: إني أعرف كل المعالجين الذين في بلدتي جميعًا وهذا الرجل لا أعرفه ثم قلت له: أعطني تلك الورقة، وكانت ورقة صفراء مكتوب عليها الله أكبر ولكن عندما دققت النظر إليها إذ بنقطة الباء ليست تحت الباء بل فوق الباء وإذ بسنة الباء تميل إلى حرف الفاء ومكتوب هكذا «الله أكفر» قلت: له أنت معك صك بالكفر كيف يعافيك الله! وكانت زوجته مربوطة طيلة ثلاث سنوات ثم قطعت الورقة وطلبت منه التوبة فقال لي: أنا ما أدري إن هذه الورقة مكتوب عليها هذه الكلمة، ثم بدأت معه العلاج وعافاه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وآخر كان يدخل بيوت المسلمين على أنه معالج فكان ذلك الخبيث يرسل جنًا إلى البيت الذي يعرف أنه سوف يذهب إليه ويأمر ذلك الجن أن يضع السحر في أماكن معينة ثم هو هو نفس الجن يدخل في تلك الحالة المريضة ثم يحضر ويتكلم بلسان المريض ويقول: إن السحر في المكاني الفلاني والمكان الفلاني ويظهر ذلك الساحر على أنه معالج وحسبي الله ونعم الوكيل فيهم هؤلاء الذين هم أشد جرمًا وفتكًا بالأمة الإسلامية هم هؤلاء المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، هم هؤلاء الذين ينخدع فيهم العوام من المسلمين الذين لا حول لهم ولا قوة، وتجد منهم من هو اسمه عبد الله ومحمد وإبراهيم وأسماء كلها إسلامية، وتراه يركع ويسجد في المسجد وتراه يرتدي الثوب الأبيض والشال الأبيض وتنخدع في شكله وهو هو الساحر المخادع الذي يظهر أمام الناس على أنه معالج بالقرآن.

الفصل الثاني

حكم الساحر

السحر ناقض من نواقض الإسلام فمن فعله أو رضي به كفر وعده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من نواقض الإسلام العشرة قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر والدليل قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾»[1].

قد اختلف العلماء – رحمهم الله – في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: وهو قول الجمهور أنه يقتل وبه قال مالك وأحمد رحمهما الله.

القول الثاني: أنه لا يقتل إلا إذا عمل عملًا يبلغ به الكفر وهو قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

واحتج أصحاب القول الأول بأدلة:

منها ما رواه الترمذي والحاكم وابن عدي والدارقطني وغيرهم من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن بن جندب قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ».

قال الترمذي: «لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكي يضعف في الحديث والصحيح عن جندب موقوف».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَحَرَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ حَتَّى كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ -أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ- وَهُوَ عِنْدِي

(1) «التبيان شرح نواقض الإسلام» صـ٤٩ نقلًا عن المصدر السابق.

لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ، فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ».

فَأَتَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا اسْتَخْرَجْتَهُ، قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللهُ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ».

رواه البخاري، ومسلم، وفي الاستدلال به نظر من وجوه كثيرة وأما عدم قتل النبي ﷺ للبيد بن الأعصم، فهو خشية إثارة الفتنة، والله أعلم، مع إن بعض العلماء قال: هذا خاص بالذمي، والصواب: أن الذمي والمسلم سواء في قتلهم»اهـ.

قلت: والساحر خبيث وخطره عظيم وجرمه كبير وقتله فيه مصلحة عظيمة ومنفعة كبيرة للبلاد والعباد لأنه لو ظل حيًا لا يأمن مكره وخبثه.

وإسماعيل بن مسلم قال عنه أحمد: منكر الحديث وقال ابن معين: ليس بشيء وقال الذهبي: «متفق على تضعيفه». واستدلوا أيضًا بما رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن بجالة قال: «أتانا كتاب عمر قبل موته بسنة، أن اقتلوا كل ساحر (وربما قال سفيان: وساحرة)[1].

(1) الحديث مخرج في «البخاري» ولكن في بعض النسخ ليس فيه: «اقتلوا كل ساحر» والأثر أخرجه أيضًا أبو داود.

واستدلوا أيضًا بما جاء عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها وهذا الأثر رواه مالك في «الموطأ» وسنده منقطع ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في «المسائل» والبيهقي عنها بسند صحيح، وصححه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «كتاب التوحيد» وهذا القول وهو قتل الساحر مطلقًا هو الصواب ولا يعلم لعمر وجندب وحفصة -رضي الله عنهم- مخالف من الصحابة وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»[1]، وقال: «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ»[2] وهذا حديث صحيح.

وأما الذين قالوا: «إن الساحر لا يقتل إذا لم يبلغ بسحره الكفر فاستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الجَمَاعَةَ»[3]، قال الإمام الذهبي رحمه الله: لأن الساحر لابد وأن يكفر، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة :١٠٢]، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك بالله تعالى، قال الله تعالى مخبرًا عن هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة :١٠٢]، أي: من نصيب.

(1) رواه أحمد (٥/ ٣٩٩)، والترمذي (١٠/ ١٤٧)، «تحفة الأحوذي».

(2) رواه الترمذي (١/ ١٩٦)«تحفة الأحوذي»، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(3) «التبيان شرح نواقض الإسلام».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وحدُّ الساحر القتل لأنه كفر بالله أو مضارع بالكفر.

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» فذكر منها السحر والموبقات: المهلكات، فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة.

وعن بجالة بن عبده أنه قال: أتانا كتاب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

وعن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتاب يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: «لا إله إلا أنا، ليس مني من سَحَر ولا من سُحِر له، ولا من تكهَّن ولا تُكُهِّن له، ولا من تطير ولا من تُطُيِّر له»[1] اهـ.

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد اختلف العلماء في حكم الساحر هل يُستتاب وتقبل توبته؟ أم يقتل بكل حال ولا يستتاب إذا ثبت عليه السحر؟ والقول الثاني هو الصواب لأن بقاءه مضر بالمجتمع الإسلامي والغالب عليه عدم الصدق في التوبة ولأن في بقائه خطرًا كبير على المسلمين، واحتج أصحاب هذا القول على ما قالوه بأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر بقتل السحرة ولم يستتبهم وهو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنتهم، واحتجوا أيضًا بما رواه الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ عن جندب بن عبد الله البجلي أو عن جندب الخير الأزدي مرفوعًا وموقوفًا «حد الساحر ضربه بالسيف»، والصحيح عند العلماء وقفه على جندب وصح عن حفصة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت من غير

(1) «الكبائر» للذهبي صـ(١٥-١٦).

استتابة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ثبت ذلك -يعني قتل الساحر من غير استتابة- عن ثلاثة من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعني بذلك عمر وجندبًا وحفصة»[1] اهـ.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإن الواجب قتل الساحر متى ثبت تعاطيه السحر بإقراره أو بالبينة الشرعية من غير استتابة»[2] اهـ.

قال حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أما الساحر فإن كان سحره مما يتلقى عن الشياطين كما نصت عليه آية البقرة فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾»[3] اهـ.

قال ابن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وتعلُّم السحر محرم، بل هو كفر إذا كانت وسيلته الإشراك بالشياطين، قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ فتعلم هذا النوع من السحر وهو الذي يكون بواسطة الإشراك بالشياطين كفر واستعماله أيضًا كفر وظلم وعدوان على الخلق، ولهذا يقتل الساحر إما ردة وإما حدًا فإن كان سحره على وجه يكفر به فإنه يقتل ردة وكفرًا، وإن كان سحره لا يصل إلى درجة الكفر فإنه يقتل حدًا دفعًا لشره وأذاه على المسلمين»[4] اهـ.

---

(1) من رسالة «تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام» لابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ صـ(٥١).

(2) المصدر السابق.

(3) «إعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» صـ(٧٥).

(4) «فتاوى أركان الإسلام» لابن عثيمين صـ(١١٤).

قال الفوزان حفظه الله:

«السحر لا يُتوصّل إليه إلا بالإشراك والتقرب إلى الأرواح الخبيثة بما تحب والتوصل إلى استخدامها بالإشراك بها، وهذا قرنه الشارع بالشرك بالله والسحر، فهو داخل في الشرك من ناحيتين: الناحية الأولى: ما فيه من استخدام الشياطين والتعلق بهم والتقرب إليهم بما يحبونه ليقوموا بخدمة الساحر، فالسحر من تعليم الشياطين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

الثانية: ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في ذلك وهذا كفر وضلال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: نصيب وإذا كان فلا شك أنه كفر وشرك يناقض العقيدة ويجب قتل متعاطيه كما قال جماعة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم»[1] اهـ.

قال د/ عمر الأشقر:

«والذي نعلمه من دراستنا للكتاب والسنة ومطالعتنا لما دُوِّن في موضوع السحر أن الساحر لابد أن يكون خاضعًا للشيطان، بل عابدًا له حتى يعينه الشيطان ويخدمه»[2].

(1) «كتاب التوحيد» لابن فوزان حفظه الله.

(2) «عالم السحر والشعوذة» صـ(١٦٧).

الفصل الثالث

حكم الذهاب إلى الساحر

قال الحافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ﴾ [النجم: ٣٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٢) اهـ(٣).

قال العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

القسم الأول: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه فهذا محرم وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين يومًا كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٤).

---

(1) أبو داود (٣٩٠٤)، ابن ماجه (٣٦٩).

(2) مسلم (٧/ ٣٧)، أحمد (٤/ ٦/ ٣٨٠٥).

(3) «أعلام السنة المنشورة» صـ(٧٨).

(4) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، من حديث صفية عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القسم الثاني: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به فهذا كفر بالله -عَزَّ وَجَلَّ- لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب، وتصديق البشر في دعوى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١).

القسم الثالث: أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ليبين حاله للناس وأنها كهانة وتمويه وتضليل فهذا لا بأس به ودليل ذلك أن النبي ﷺ أتاه ابن صياد فأضمر له النبي ﷺ شيئًا في نفسه فسأله النبي ﷺ: «ماذا خبأ له؟» قال: الدُّخ، يريد الدخان، فقال النبي ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك»(٢)، هذه أحوال من يأتي إلى الكاهن ثلاثة.

الأولى: أن يأتي بدون أن يصدقه وبدون أن يقصد بيان حاله فهذا محرم وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة.

الثاني: أن يسأله فيصدقه وهذا كفر بالله -عَزَّ وَجَلَّ- على الإنسان أن يتوب منه ويرجع إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- وإلا مات على الكفر.

الثالث: أن يأتيه فيسأله ليمتحنه ويبين حاله للناس فهذا لا بأس له. اهـ(٣).

---

(1) أخرجه الترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٠٦).

(2) أخرجه البخاري (١٣٥٤)، ومسلم (٢٩٢٤)، من حديث عبد الله بن مسعود.

(3) «فتاوى أركان الإسلام» صـ(١١٥-١١٦).

الفصل الرابع

الفرق بين كرامة الأولياء والمعجزات النبوية والسحر

أولاً- كرامة الأولياء:

يقول الشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كرامات الأولياء مسألة هامة ينبغي أن يعرف الحق فيها من الباطل هل هي حقيقة ثابتة أو هي من باب التخيلات؟».

ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء.

فمن هم الأولياء؟ الجواب: إن الله بينهم بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليست الولاية بالدعوى والتمني إنما هي بالإيمان والتقوى» فلقد رأينا رجلًا يقول: «إنه ولي ولكنه غير متقٍ لله تعالى فقوله مردود عليه».

أما الكرامات فهي جمع كرامة والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد ولي تأييدًا له أو إعانة أو تثبيتًا أو نصرًا للدين، فالرجل الذي أحيا الله تعالى فرسه وهو صلة بن أشيم بعد أن ماتت حتى وصل إلى أهله فلما وصل إلى أهله قال لابنه: ألق السرج عن الفرس فإنها عرية فلما ألقى السرج عنها سقطت ميتة فهذه كرامة لهذا الرجل إعانة له[1].

(1) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ صـ(٤٨٠).

قال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أما التي لنصرة الإسلام فمثل الذي جرى للعلاء بن الحضرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عبور ماء البحر وكما جرى لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عبور نهر دجلة وقصتها مشهورة في التاريخ، فالكرامة أمر خارق للعادة، أما ما كان وفق العادة فليس بكرامة.

وهذا الأمر إنما يجريه الله على يد ولي احترازًا من أمور السحر والشعوذة فإنها أمور خارقة للعادة، لكنها تجري على يد غير أولياء الله بل على أعداء الله فلا تكون هذه كرامة، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد كثرت هذه الكرامات التي تدَّعي أنها كرامات في هؤلاء المشعوذين الذين يصدون عن سبيل الله فالواجب الحذر منهم ومن تلاعبهم بعقول الناس وأفكارهم.

فمن الكرامات الثابتة بالقرآن والسنة لمن سبق قصة أصحاب الكهف الذين عاشوا في قوم مشركين وهم قد آمنوا بالله وخافوا أن يغلب على أمرهم فخرجوا من القرية مهاجرين إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيسّر الله لهم غارًا في جبل، وجه هذا الغار إلى الشمال فلا تدخل الشمس عليهم فتفسد أبدانهم ولا يحرمون منها إذا طلعت تزاور عن كهفهم ثلاثة مائة سنين وازدادوا تسعًا وهم نائمون يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال، في الصيف والشتاء لم يزعجهم الحر ولم يؤلمهم البرد، ما جاعوا وما عطشوا وما ملّوا من النوم، فهذه الكرامة لا شك بقوا هكذا حتى بعثهم الله وقد زال الشرك عن هذه القرية فسلموا منه. ومن ذلك قصة مريم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكرمها الله حيث أجاءها المخاض إلى جذع النخلة وأمرها الله أن تهز بجذعها لتتساقط عليها رطبًا جنيًا.

ومن ذلك قصة النبي الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه كرامة له ليتبين له قدرة الله تعالى ويزداد ثباتًا في إيمانه.

وأما شهادة الواقع بثبوت الكرامات فظاهر يعلم به المرء في عصره إما بالمشاهد وإما بالأخبار الصادقة، فمذهب أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء»[1] اهـ.

أما المعجزات النبوية:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيقال: لا يمكن الالتباس لأن الكرامة على يد ولي والولي لا يمكن أن يدَّعي النبوة ولو ادعاها لم يكن وليًا.

آية النبي تكون على يد نبي، والشعوذة والسحر على يد عدو وبعيد من ولاية الله وتكون بفعله باستعانته بالشياطين فينالها بكسبه بخلاف الكرامة فهي من الله تعالى لا يطلبها الولي بكسبه.

قال العلماء: «كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه لأن الكرامة شهادة الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن طريق هذا الولي طريق صحيح».

وعلى هذا ما جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولهذا قال بعض العلماء: «ما من آية لنبي من الأنبياء السابقين إلا ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلها».

فأورد عليهم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يلق في النار فيخرج حيًا كما حصل ذلك لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(1) «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ صـ(٤٨٠-٤٨١).

فأجيب بأنه جرى ذلك لأتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني، وإذا أكرم أتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- بجنس هذا الأمر الخارق للعادة دل ذلك على أن دين النبي ﷺ حق لأنه مؤيد بجنس هذه الآية التي حصلت لإبراهيم عليه السلام.

وأورد عليهم أن البحر لم يُفلق للنبي ﷺ وقد فُلق لموسى عليه السلام فأجيب بأنه حصل لهذه الأمة فيما يتعلق في البحر شيء أعظم مما حصل وهو المشي على الماء كما في قصة العلاء بن الحضرمي حيث مشوا على ظهر الماء، وهذا أعظم مما حصل لموسى عليه السلام لأن موسى مشى على أرض يابسة.

وأورد عليهم أن من آيات عيسى عليه السلام إحياء الموتى ولم يقع ذلك لرسول الله ﷺ فأجيب بأنه وقع لأتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في قصة الرجل الذي مات حماره في أثناء الطريق فدعا الله تعالى أن يُحييه فأحياه الله تعالى.

وأورد عليهم إبراء الأكمه والأبرص. فأجيب بأنه حصل من النبي ﷺ أن قتادة بن النعمان لما جُرِح في أُحُد ندرت عينه حتى صارت على خده فجاء النبي ﷺ فأخذها بيده ووضعها في مكانها فصارت أحسن عينيه[1].

ويقول رحمه الله:

الكرامات: قلنا: إنها تكون تأييدًا أو تثبيتًا أو إعانة للشخص أو نصرًا للحق ولهذا كانت الكرامات في التابعين أكثر منها في الصحابة لأن الصحابة عندهم من

(1) المصدر السابق صـ(٤٨٢-٤٨٣).

التثبيت والتأييد والنصر ما يستغنون به عن الكرامات فإن الرسول ﷺ كان بين أظهرهم، وأما التابعون فإنهم دون ذلك ولذلك كثرت الكرامات في زمنهم تأييدًا لهم وتثبيتًا ونصرًا للحق الذي هم عليه، ثم يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الكرامات لها أربع دلالات:

أولًا: بيان كمال قدرة الله -عَزَّ وَجَلَّ- حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله.

ثانيًا: تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت على نسق واحد لا يتغير فإذا تغيرت العادات والطبيعة دل على أن للكون مدبرًا وخالقًا.

ثالثًا: أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا قريبًا.

رابعًا: أن فيها تثبيتًا وكرامة لهذا الولي.[1] اهـ.

أما السحر: قال الشيخ وحيد حفظه الله:

ربما يكون الرجل ساحرًا ولا يعرف عن السحر شيئًا ثم أنه غير متمسك بالشريعة، وربما يكون مرتكبًا لبعض الموبقات ومع ذلك تظهر على يده بعض الخوارق وقد يكون من أهل البدع أو من عُبَّاد القبور فالقول في هذا أنه إعانة من الشياطين حتى تزين للناس طريقته المبتدعة فيتبعها الناس ويتركون السنة.

وهذا كثير معروف خاصة إذا كان رئيسًا لطريقة من الطرق الصوفية المبتدعة ثم نقل أقوال العلماء كقول المازري رَحِمَهُ اللَّهُ والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن الساحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل تقع غالبًا اتفاقًا أما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ثم نقل قول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق وأن الكرامة لا تظهر على فاسق.

---

(1) المصدر السابق صـ(٤٨٣-٤٨٤).

وقال الحافظ: «وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكًا بالشريعة مجتنبًا للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلا فهو سحرٌ لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين»[1] اهـ.

قلت: والفارق هنا يظهر واضحًا في تحدي السحرة لموسى -عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام- وعندما قالوا لموسى: إما أن تلقي قبلنا أو نلقي قبلك فألقى سحرة فرعون ما بأيديهم من عِصي وحبال فأخذت تتحرك ولكنها تتحرك بفعل السحر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٥-٦٦].

وأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ألقاها أي: العصا التي كانت في يده لم تكن تتحرك بفعل السحر بل هي المعجزة النبوية التي أيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بها نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وإذ بالعصا تتحول إلى حية عظيمة وتلقف ما صنع هؤلاء السحرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩].

(1) «الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار» صـ(٥٢).